

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الثانية والتسعون

البخاري (رحمه الله)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد : -

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، نقف اليوم مع طرف من حياة فتى من فتيان الإسلام ، ذلك الفتى الذي أعجب المحدثين فكتبوا عنه وحكموه في الحديث ولم يجاوز سن الثامنة عشرة من عمره .

إنه محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة . أسلم المغيرة على يدي اليمان الجعفي والي بخارى وكان مجوسيا وطلب إسماعيل بن إبراهيم العلم .

يحدثنا الإمام البخاري (رحمه الله) عن طرف من طلب والده للعلم فيقول : سمع أبي من مالك بن أنس ورأى حماد بن زيد وصافح ابن المبارك بكلتا يديه.

قال الذهبي : ولد أبو عبدالله البخاري في شوال سنة أربع وتسعين ومئة .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، كيف كانت حياة البخاري في بداية شبابه، إنه الأنموذج الرائع ، والمثل الصالح لشباب الإسلام الذين يريدون صلاحهم وصلاح أمتهم ، استمع إليه في جواب سؤال وجه له .

عن محمد بن أبي حاتم قال قلت لأبي عبد الله كيف كان بدء أمرك؟ قال: ألهمت حفظ الحديث وأنا في الكتاب. فقلت: كم كان سنك؟ فقال عشر سنين أو أقل، ثم خرجت من الكتاب بعد العشر، فجعلت أختلف إلى الداخلي وغيره، فقال يوما فيما كان يقرأ

للناس: سفيان عن أبي الزبير عن إبراهيم. فقلت: له إن أبا الزبير لم يرو عن إبراهيم، فانتهرني، فقلت: له ارجع إلى الأصل، فدخل فنظر فيه ثم خرج، فقال لي: كيف هو يا غلام؟ قلت: هو الزبير بن عدي عن إبراهيم. فأخذ القلم مني وأحكم كتابه وقال صدقت، فقيل للبخاري: ابن كم كنت حين رددت عليه؟ قال: ابن إحدى عشرة سنة، فلما طعنت في ست عشرة سنة كنت قد حفظت كتب ابن المبارك، ووكيع، وعرفت كلام هؤلاء، ثم خرجت مع أمي وأخي أحمد إلى مكة، فلما حججت رجع أخي بها وتخلفت في طلب الحديث .

عجباً لك يا أبا عبد الله تحفظ الحديث وأنت ابن عشر سنين ، وترد على المشايخ وأنت ابن إحدى عشرة سنة ، أين أنت من شباب هذا الزمان ، أين يوجد ذلك الفتى الذي من يبلغ العمر إحدى عشرة سنة يرد على مشايخ الحديث فيقبلون منه ، ويصححون كتبهم من قوله ، ومن جانب آخر فإن الداخلي (رحمه الله) يضرب لنا مثلاً في تواضع الشيوخ وقبول الرد ممن هو صغير السن مثل أبي عبد الله البخاري .

لم يكتف الإمام البخاري (رحمه الله) بسماع الحديث في بلد واحد ، بل أخذ يطوف وهو شاب بين بلدان المسلمين ليأخذ الحديث من علمائها ، فقد سمع ببخارى ، ثم سمع ببلخ ، وبنيسابور ، وبالي، وبغداد، وبالبصرة، وبالكوفة، وبمكة، وبالمدينة، وبمصر وبالشام، كل هذه البلاد قد زارها البخاري (رحمه الله) لا للنزهة أو التجارة ، إنما زارها لطلب حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ولم يركب في رحلاته هذه لا سيارة ولا طائرة .

ورحلات الشباب في هذا الزمان كثيرة ، ولكن إلى أين ، ولماذا ؟ تلك الرحلات التي غالباً ما تكون في الإجازات، أضف إلى ذلك سهولة المواصلات وسرعة التنقلات ، وربما لا يروق لبعضهم الحجز إلا في الدرجة الأولى دون السياحة . وبعد الرحلة ما النتيجة ؟ لا شيء ، وربما الضرر وليس النفع .

وفي رحلات الإمام يروي محمد بن أبي حاتم : سمعت أبا عبد الله محمد بن إسماعيل يقول: حججت ورجع أخي بأمي، وتخلفت في طلب الحديث، فلما طعنت في ثمان عشرة جعلت أصنف قضايا الصحابة، والتابعين وأقاولهم، وذلك أيام عبيد الله بن موسى .

وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليالي المقمرة
وقل اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أنني كرهت تطويل الكتاب .

كان البخاري (رحمه الله) قد دخل علم التأليف وهو سن الثامنة عشرة من عمره،
وغيره من شباب هذا الزمان كما يقولون - في سن المراهقة - فيعتذرون لهم عن أعمال
بسبب تلك السن .

ومن مواقفه اللطيفة في صباه ، يقول : كنت أختلف إلى الفقهاء بمرور وأنا صبي فإذا
جئت أستحي أن أسلم عليهم، فقال لي مؤدب من أهلها: كم كتبت اليوم؟ فقلت اثنين،
وأردت بذلك حديثين، فضحك من حضر المجلس، فقال شيخ منهم لا تضحكوا فلعله
يضحك منكم يوماً .

وصدق الشيخ ، ولكن البخاري لا يضحك من أحد استهزاءً ، وكان ذلك الشيخ
قال تلك المقولة ، لما عرف منه من علامات النجاة والذكاء ، وتفرد فيه المستقبل العلمي .

ومن مواقفه في الحكم بين أهل الحديث وهو صغير ما يرويه بقوله : دخلت على
الحميدي وأنا ابن ثمان عشرة سنة وبينه وبين آخر اختلاف في حديث، فلما بصر بي
الحميدي قال: قد جاء من يفصل بيننا، فعرضاً على فقضيت للحميدي على من يخالفه ولو
أن مخالفه أصر على خلافه ثم مات على دعواه لمات كافراً .

ولم يتوقف به الأمر عند ذلك الحد بل أصبح شيخاً في الحديث ، ولم يخرج شعر وجهه
بعد من صغره ، فعن أبي بكر الأعين قال كتبنا عن البخاري على باب محمد بن يوسف
الغريابي وما في وجهه شعرة، فقلنا ابن كم أنت قال ابن سبع عشرة سنة .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا
رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة
والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ،
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

